Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما يستخدم سيبويه ماسمعه ممن يوثق بهم أيضا فيقول : « وهذه حجج سُمعت من العرب وممن يوثق به يزعم أنه سمعها من العرب . من ذلك قول العرب فى مثل من أمثالهم اللهم ضَبُعاً وذئبا ، إذا كان يدعو بذلك على غنم رجل . وإذا سألتهم مايعنون قالوا : اللهم اجمع أو اجعل فيها ضَبُعاً وذئبا وكلهم يفسّر ماينوى » (٥٦). فالحجج التى استخدمها سيبويه - هو أيضا - لم تتعد ماسمع من الثقات من الأعراب دون أن يهدف إلى التعليل لأى ظاهرة لغوية .

وأخيرا فلعله يكون قد وضح لنا مذهب الكوفيين فى استخدام « السمع » فى كافة المستويات اللغوية : الأصوات ، والصرف ، والنحو ، والدلالة ، حيث يلاحظ أنهم استخدموه فى تفسير كلام العرب أو توثيقه ، ولكنهم فى كل ذلك لم يكونوا يهدفون إلى التعليل لأى ظاهرة لغوية فى الكلام ولقد رأينا أن البصريين قد انتهجوا نفس طريق الكوفيين من قبل ، فلا داعى إذن للقول عن الكوفيين : « وبحكم أنهم كانوا ينتهجون فى معالجة القضايا اللغوية والنحوية منهجا لغويا ، باعتمادهم على الرواية ، والإمعان فى التتبع اللغوى ، واستبعادهم كل ماله صلة بالاستدلالات العقلية المنطقية ، عن مجال دراستهم كانوا أقدر من البصريين على تذوق العربية ، ولمح الطبيعة اللغوية وتفسير ظواهرها ، وعوارضها » (٥٧) . فقد شاركهم البصريون فى ذلك ، بل سبقوهم إلى هذا المنهج ، والأقرب إلى الصواب هو ماذهب إليه الدكتور عبده الراجحى حين اعتبر أن المسموع يمثل أحد المظاهر الهامة للمنهج الوصفى فى النحو العربى عامة (٥٨) ، أى أن الكوفيين والبصريين باستخدامهم « السمع » فى درسهم اللغوى بهدف تفسير اللغة وشرحها وتوثيقها لا بهدف التعليل كانوا شركاء فى منهج واحد هو المنهج الوصفى .

---

(٥٦) السابق ٢٥٥/١ .

(٥٧) د . مهدى المخزومى : مدرسة الكوفة ٣٩٣ .

(٥٨) د . عبده الراجحى : النحو العربى ٥٤ - ٥٥ .